اسم المادة: الدرس الثامن الآيات من ٥٢:٦٥

من سلسلة: مجالس القرآن (سورة الأعراف)

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: الدرس الثامن من مجالس القرآن (سورة الأعراف) الآيات من ٥٢ ٦٥:
لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-128372.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله–صلّى الله عليه وسلم–،

نستكمل بإذن الله –عز وجل– ما بدأناه من وقفات مع سورة الأعراف، مجلس نتدارس فيه سورة الأعراف، هذا هو المجلس أظن الثامن بإذن الله –سبحانه وتعالى–، أسأل الله –عز وجل– أن يتقبل منا وأن يجعل منا هذه الأعمال خالصةً لوجهه يوم نلقاه –سبحانه وتعالى–، و أن يجعلنا جميعًا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته –سبحانه وتعالى–، وأن يستعملنا لتطبيق معاني كتابه –سبحانه وتعالى–.

يترك الله يوم القيامة الذين نسوه في الدنيا

كنا توقفنا بعد الآية ٥١ آخر آية تكلمنا عنها في المرة الماضية، عن هؤلاء الناس الذين أدخلهم الله –عز وجل– النار وهم يستحقون ذلك لأنهم اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، وغرّتهم الحياة الدنيا، كانوا يتعاملون مع الدين تعامل اللاعب اللاهي المستهزيء وهذا بسبب غرور الحياة الدنيا، وغرتهم الحياة الدنيا والاغترار أن تعتقد في الشيء فوق قيمته، تكلمنا عنه بالتفصيل في سورة فاطر المجلس الأول، "وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا" الأعراف: ٥١، ينساهم الله –عز وجل– من الخير ولا ينساهم من الشر كما رُوي عن بعض السلف، يتركهم الله –عز وجل– في النار كما تركوا الدين، وكما أعرضوا عن الدين، "فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا"، أي أيضًا، وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ".

من المواضيع اللي تكلمنا وقلنا أنها تتكرر معنا في سورة الأعراف قضية الآيات وكيف أن الله –عز وجل– بعد أن خلق الخلق وقضية الخلق والربوبية واضحة بصورة جلية في سورة الأنعام، أما في سورة الأعراف قضية إرسال الرسل، وأن هؤلاء الرسل معهم آيات من الله –عز وجل–، سواء كانت الآيات اللي تُبين المعجزة أو الآيات الشرعية التي لابد أن يتبعها القوم، كيف يتعامل الناس مع هذه الآيات؟ هذه من محاور سورة الأعراف أن الله –عز وجل– لم يترك الخَلق سدى، لم يتركهم هملًا، ولكن أرسل إليهم الرسل، وأرسل مع هؤلاء الرسل الآيات كي يتبع الناس هذه الآيات، التعامل المختلف مع الآيات وأغلب التعامل مع الآيات، إعراض وتكذيب وجحود واستكبار واستهزاء كل هذه الألفاظ، أو حتى بعد من أطاع الله –عز وجل–

ودخل في الآيات منهم والعياذ بالله من انسلخ من الآيات، كل هذه النماذج موجودة والمتردد بين الآيات كأصحاب الأعراف كل هذه النماذج موجودة في سورة الأعراف.

تركز سورة الأعراف على محاور دخول الشيطان للإنسان

لذلك كما قلنا من أول ما بدأت السورة "اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ" الأعراف:٣، أن الله –عز وجل– لم يتركك سدى ولم يتركك هملًا بل أرسل إليكم أوامر، "اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ"، فبدأت سورة الأعراف علشان نتخيل ثاني كده المنظومة مع بعض، بدأت سورة الأعراف بمقدمة واضحة الأوامر وإن هناك ناس أعرضوا فأهلكهم الله –عز وجل– ثم يبعثهم يوم القيامة ثم توزن الأعمال بالموازين ثم قص الله –عز وجل– علينا المعركة الأولى التي حدثت بين أبينا آدم وبين الشيطان حتى نستخلص منها العبر، وكان التركيز في سورة الأعراف في هذه القصة على محاور دخول الشيطان، كيف يستطيع الشيطان الدخول للنفس الإنسانية، نقاط الضعف عند آدم وبنيه حتى نتجنب هذه النقاط، كيف يستطيع الشيطان ما هي أهداف الشيطان التي يريد أن يصل إليها؟ هل للشيطان غاية محددة يتوقف عندها أم يريد أن يصل بالناس أن يكونوا معه في جهنم خالدين و–العياذ بالله–؟

جزاء عدم اتبَّاع الرسل

كل هذه القضايا ذُكرت في سورة الأعراف، ثم بعد ذلك الذين اتبعوا الشيطان، كان من أسباب اتباعهم الشيطان أنهم اتبعوا القادة ولم يتبعوا الرسل، وإن دائمًا هناك فيه قلة متحكمة، وهذه من المعاني الجلية أيضًا من أعمدة سورة الأعراف، إحنا قلنا فيه أعمدة لكل سورة، منها إن هناك قلة متحكمة اللي هي سورة الأعراف سمتهم "وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ" الأعراف:٣٩، في المراكز الأولى سواء الزمنية هم اللي شرّعوا الباطل أو المراكز الاجتماعية، وقال ربنا –سبحانه وتعالى: "لِكُلٍّ ضِعْفٌ" الأعراف: ٣٨، سواء للقادة أو للأتباع، هناك أناس أعرضوا عن شرع الرحمن واتبعوا تشريعات هؤلاء القادة فاستحقوا دخول جهنم ولم ينفعهم النقاش الذي دار بينهم في جهنم و–العياذ بالله–، ثم أخبرنا ربنا –سبحانه وتعالى– عن آخر المشاهد وآخر النداءات، نداءات أهل الجنة لأهل النار، ونداءات أصحاب الأعراف لكلا الفريقين ونداءات أصحاب النار لأهل الجنة بأن يطلبوا الماء أو مما رزقهم الله، ثم جاء الخطاب من أهل الجنة أن الله –عز وجل– حرم هذه الأرزاق على الكافرين، ثم يقول ربنا –سبحانه وتعالى– بعد انتهاء هذه المشاهد. يقول ربنا: "وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ" الأعراف: ٥٢، أي أن هؤلاء الذين دخلوا النار، وهؤلاء الذين كانوا في الأعراف ليس لهم عذر، كان معهم الكتاب، لا يصح الاعتذار بوجود القادة أو بوجود الرؤساء المستكبرين، أو بوجود الزخارف ولا بوجود الفتن، فلقد جاءكم كتاب من عند الله –سبحانه وتعالى، لذلك بعض أهل العلم والإمام الطبري، هذا من دقته في التفسير، أن دايمًا الإمام الطبري بيحاول يربط السورة، يقول: هذه الآية معطوفة على أول آية "اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ" الأعراف: ٣، ثم استطراد طويل "ولقد جئناكم بكتاب فاتبعوه"، يعني بيقول إن آية "وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ"، الأعراف: ٥٢، وإن كان بعض المتأخرين اعترض على ده، لكن أنا بقول

لك إزاي محاولات بعض المفسرين لربط الآيات، "وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ"، الذي أمرتكم في أول السورة بإتباعه فليس لكم عذر، هذا الكتاب أنزلته لكم وحفظته لكم فكيف تحتجُّون أن هناك تشريعات أرضية أو أن هناك قادة شرَّعوا لنا أو أن هناك زخارف أو فتن.

كتاب الله –تعالى– ليس في أي عوج

"وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ" هذا الكتاب مفصل واضح لا شبهة فيه، ليس فيه عوج، هم يبغونها عوجًا لكن هذا الكتاب لا يصل إليه العوج، "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا" الكهف:١، ثم سكت كده سورة الكهف، قيمًا، أي هذا الكتاب هو قيم، "قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ" الكهف: ٢، قالوا استحباب الوقف هنا عشان ما تقولش عوجًا قيمًا ممكن يكون فيه عوج مش واضح، لا هو ليس فيه عوج مُطلقًا، لم يجعل له عوجًا مطلقًا فتتوقف حتى لا يظن ظان أنه لم يجعل له عوجًا قيمًا ولكن فيه عوج آخر، لا هو لم يجعل له عوجًا مطلقًا، فتتوقف عند عوج سكت لطيف ثم تقول: "قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ" الكهف:٢، وأيضًا " إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ" الإسراء:٩، أيضًا في السورة التي قبلها في سورة الإسراء، هذا الكتاب مُفصَّل واضح لذلك أيضًا من المعاني في سورة الأعراف، أن الآيات تأتي مُفصلَّات، زي ما هيجي في آيات موسى –عليه السلام– لبني إسرائيل، آيات مُفصلَّات.

لا أحد يمكن أن يحيط بعلم الله

التفصيل له معنيين: الوضوح والتمايز وإن فيه فوارق زمنية بين كل آية وآية، حتى أن الناس يكون لهم فترة في الاعتبار، القرآن نزل مُنجَّمًا، نزل مُفرَّقًا، الكفار قالوا: "لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً" الفرقان: ٣٢، القرآن نزل مجموعة آيات في مجموعة آيات بحيث إن كل مجموعة تأخذ وقتها، تأخذ وقتها من التدبر والتفكر والاعتبار والتطبيق والتنفيذ والمجاهدة، كل مجموعة آيات تفعل بها هكذا، ثم تأتي مجموعة أخرى لتؤكد ما قيل في الآيات السابقة وتضيف إليها، ليس هناك تعارض بين القرآن."ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم منه"، –سبحانه وتعالى–، "أنزله بعلمه"، في سورة النساء، بعلمه أي مصاحبًا لعلمه أو فيه علمه، فيه جزء طبعًا لأن "وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ" ،–سبحانه وتعالى–، إِلَّا بِمَا شَاءَ" البقرة: ٢٥٥، لا أحد يحيط بعلم الله مطلقًا، فهذا الكتاب يحتوي على معارف وعلوم علمنا الله– عز وجل– إيّاها في القرآن.

الفرق بين أهل الإيمان وأهل الكفر في اعترافهم بالذنب

"فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ"، من جاء إلى الكتاب بإقبال كان له، "هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"، هؤلاء الذين أعرضوا عن الكتاب ماذا ينتظرون؟ "هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ" الأعراف: ٥٣، بمعنى هل ينظرون إلا تأويله؟ أي هل ينتظرون إلا مجيء هذه الوعود التي جاءت في القرآن حقيقةً؟ فالتأويل هنا ليس بمعنى التفكير على قول جماهير المفسرين، لا "هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ"، ما تؤول إليه الأمور، يعني الله –عز وجل– ذكر في القرآن أمورًا من دخول الجنة والنار، وإهلاك الظالمين وتعذيب الفُسَّاق

وإدخالهم في القبر في عذاب –والعياذ بالله–، والمعيشة الضنك هذه وعود كثير من الناس لا يؤمن إلا إذا رأى هذه الأشياء فيقولون آمنّا بعد أن يلامس النار، بعد أن يدخل النار –والعياذ بالله–، لذلك سيقولون هنا حينما تأتي الآيات "قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ" الأعراف: ٥٣، "يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ" هذه الجملة قد جاءت رسل ربنا بالحق قالها أهل الإيمان أيضًا، وقالوها أيضًا في الجنة ولكن كانوا يقولونها في الدنيا كانوا يعترفون أن الرسل جاءت بالحق في الدنيا.

كثير من الناس لا يعترف بذنبه إلا بعد دخول النار أو بعد نزول ملك الموت، لا ينفعه ذلك فيخبره ربنا –سبحانه وتعالى– إن كلمة تأويله مآل الأمور، "ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا" الإسراء: ٣٥، أي أحسن عاقبةً، أنت لما تيجي تئول الرؤيا معناها ما ستؤول إليه الرؤيا من أحداث واقعية في الحقيقة، هي مجرد الآن حلم، هذا الحلم سوف يتحول إلى حقائق فذلك هو علم التأويل، ما تؤول إليه هذه الأحلام، فكذلك تأويل القرآن من معانيه ما ستؤول إليه العاقبة، القرآن أنذر بمجيء العذاب للمعرضين عن طاعة الله، للمعرضين على طاعته الملك –سبحانه وتعالى–، سواء العذاب دنيوي أو أخروي، فكثير من الناس لا يؤمن إلا إذا لامس العذاب بمجرد رؤية العذاب يقولون آمنا "رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ" الدخان: ١٢، فيقول ربنا –سبحانه وتعالى–: "يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ، أي تحقيق الوعد الذي أخبر الله به يوم يأتي هذا اليوم يوم القيامة، "يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ"، الذين أعرضوا عن القرآن "فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا"، فيه ناس تعاملت مع الآيات ولا كإنها موجودة يعني: فيه ناس أعرضت، فيه ناس كذبت، فيه ناس جحدت، استكبرت، انسلخت فيه ناس نست الآيات.

الفرق بين امتحان الدنيا وامتحان الآخرة

"يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ"، فعلًا الكلام ده إحنا سمعناه والرسل جاءت بهذا الكلام حقيقةً، حينما يرون النار يقولون بالفعل كان الرسل يتكلمون عن مثل هذه النار، حينما يرون أهل الإيمان معهم النور يقولون بالفعل صدق المرسلون، "قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ "، إحنا فعلًا اقتنعنا خلاص أنهم كانوا صادقين، طيب فيه اختيار من اثنين هما بيطرحوا اختيارات "فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ" الأعراف: ٥٣، هما اتعودوا زي ما ذكر الإمام الطبري أيضًا وغيره، اتعودوا إن معاملاتهم في الدنيا بتيجي بحاجة من اثنين إنه يجيب بواسطة أو يرجع يعملها ثاني، تديني فرصة ثانية أو يجيب واسطة ويعدي، "فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ"، عايز شفيع بدل ما خلاص فيه امتحان الدنيا وإحنا سقطنا فيه طيب مفيش وسايط؟ "هَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا" إن هو كان متعود هذه طريقة تفكيره في الدنيا، "أَوْ نُرَدُّ" متعود إن امتحانات الدنيا وده الفارق الرئيسي بين امتحانات الدنيا وامتحانات الآخرة. امتحان الآخرة ليس فيه شفعاء، ولا وسائط إلا لمن يأذن الملك –سبحانه وتعالى– له ويكون من أهل الإيمان، وليس فيه إعادة يتمنون لو يُردوا إلى الدنيا مرةً أخرى وأخبرنا ربنا –سبحانه وتعالى– كما في سورة الأنعام: "وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ"، وذكرنا هذا الأمر بالتفصيل في سورة الأنعام، لأن الإنسان حينما يُرد إلى الدنيا سوف يُرد وينسى هذه الأشياء وتُركَّب فيه أيضًا الشهوة مرة أخرى، فسوف

يعود هذه الفترة التي خَبُثت سوف تعود إلى المعاصي مرةً أخرى، "وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ " الأنعام:٢٨، والتفصيل كما قلت مذكور في سورة الأنعام.

الجميع يعمل سواء المؤمن أو الكافر

"فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ"، إذًا هؤلاء الناس كانوا يعملون، "أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا إيه؟ "نَعْمَلُ"، هؤلاء كانوا يعملون لكن كانوا يعملون أعمالًا لا يرضاها الله، إذًا كما أخبر نبينا –صلّى الله عليه وسلم– :"كل الناس يغدو" مفيش حد ما بيشتغلش،

الحديث: "سباغُ الوُضوءِ شَطرُ الإيمانِ والحمدُ للهِ تملَأُ الميزانَ والتَّسبيحُ والتَّكبيرُ مِلْءُ السَّمواتِ والأرضِ والصَّلاةُ نورٌ والزَّكاةُ برهانٌ والصَّدقةُ ضياءٌ والقُرآنُ حجَّةٌ لكَ أو عليكَ كلُّ النَّاسِ يغدو فبائعٌ نفسَه فمُعتِقُها أو مُوبِقُها" صحيح ابن حبان

لذلك كما يُروى عن النبي –صلّى الله عليه وسلم–الحديث يكرره دائمًا شيخ الإسلام ابن تيمية: "أصدق الأسماء حارث وهمام" يروى عن النبي –صلّى الله عليه وسلم– حسنه بعض أهل العلم وضعفه بعض أهل العلم: "أصدقُ الأسماء: حارثٌ وَهمَّامٌ" صححه ابن تيمية أصدق الأسماء معناها الاسم الموافق للشخص يعني ممكن يكون واحد اسمه كريم مثلًا وهو مش كريم، ممكن يكون واحد اسمه سامح وهو مش مسامح، فأصدق الأسماء حارث يعني الاسم المطابق للشخص من أصدق الأسماء حارث وهمام، الحرث من الفعل والهمام من الهم، فلا يخلوا إنسان من همٍ وحرث، من همٍ وفعل أيًا كان في الطاعة أو في المعصية.

فهؤلاء اكتشفوا أن همومهم وأعمالهم كانت مخالفةً لأوامر الملك –سبحانه وتعالى– فبيقولوا إحنا هنغير البوصلة، هنغير الأعمال، "أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ" يعني مفيش حد متوقف "لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ" المدثر: ٣٧، مفيش حد ما يعملش حاجة، كل الناس عندها هموم ومشاكل وأعمال، لكن يختلفون، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله كل الناس يهاجرون يبحثون عن أشياء وطرق يسيرون فيها، "الأعْمَالُ بالنِّيَّةِ، ولِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ، ومَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إلَيْهِ. صحيح البخاري

القرآن يقرر الحقائق بعد تهيئة النفوس لاستقبالها

"أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ، لكن الأمر قد انتهى، "قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ"، اتكلمنا عن المعنى ده في أول السورة، فقدوا فوائدها، هذه الأنفس كانت تستطيع كان عندها القدرة أن تصل إلى الفردوس "خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ"، ضيعوا هذه النفس، وكانوا يفترون أشياء ويشرعون تشريعات، ويعبدون آلهة "وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ"، في هذه اللحظة بعد دخول أهل الجنة إلى الجنة، ودخول أهل النار إلى النار، ثم نداءات أهل النار على أهل الجنة، والإعراض عن إجابتهم وأنهم لن ينالوا

شيئًا من نعيم الجنة، ثم التبكيت، "قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ" الأعراف:٥٣، ويعترفون بذلك، في هذه اللحظات تأتي آية "إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ" الأعراف: ٥٤، هذه الآية قد يظن البعض أنها معزولة عن السياق، هذه حقيقة يقررها القرآن في اللحظة المناسبة، وهذه من عادات القرآن كما يسمونها، أن القرآن يقرر الحقائق بعد تهيئة القلوب والنفوس لاستقبال هذه الحقائق.

يعني مثلًا "إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا" غافر: ٥١، سُنَّة وقاعدة أن الله –عز وجل– ينصر رسله، والنصرة إما بالموت على الحق أنهم لا يبدلون أو الانتصار بالعُدة والعتاد في الدنيا، والنصر الكامل يكون يوم القيامة، "إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا"، ليس الكل، طائفة هي التي تنتصر، لا تزال طائفة هي التي تنتصر، "وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ"، هذه الآية في سورة غافر جاءت متأخرة، تقريبًا آية ٥١ في سورة غافر، هذه الحقيقة قيلت في سورة غافر بعدما حصل مجادلة طويلة بين مؤمن آل فرعون وبين فرعون، فرعون وملأه ثم نجاه الله –عز وجل– من مكرهم، ثم أدخل الله –عز وجل– فرعون وقومه أدخلهم النار ثم يتحاجون في النار؛ المستكبرين والمستضعفين، ثم يعرض المستكبرين على المستضعفين، ثم يلجؤون جميعًا المستكبرون والمستضعفون، يلجؤون إلى الملائكة ويدعون الملائكة "ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ " غافر: ٤٩، ثم يعرض الملائكة ويُبكِّتونهم، ثم تنتهي الآيات بصراخهم في النار، وأنهم يظلون يصرخون في النار وينادون على الملائكة، في هذه اللحظة وأنت تسمع صريخهم في النار يقول ربنا: "إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا"، فتستقر الحقيقة في القلب.

قضية الخَلق دائمًا تأتي قبل الرسالة

القرآن يخاطب الإنسان بمشاعره، ليس بعقله فقط، القرآن يخاطب الإنسان ككل، هو مخلوق من طين، هو يحتوي على مشاعر، فجاءت هذه الحقيقة، "إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ" الأعراف:٥٤، في حين تعجب البعض إن الغالب دائمًا في القرآن، إن قضية الربوبية والخلق تأتي قبل قضية الرسالة، سورة الأعراف: "اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ" الأعراف:٣ في الأول الرسالة، ثم جاء الخلق، عادة القرآن أن يبدأ بالخلق "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ" البقرة:٢١ أول نداء "يَا أَيُّهَا النَّاسُ" في القرآن كله في سورة البقرة "اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ"، بعد كده التحدي بالقرآن إنهم يأتوا بمثل هذا القرآن، الآية التي تليها مباشرةً في سورة البقرة، فالخلق ثم الرسالة.

لماذا يخاف الإنسان من طاعة ربه وهو الذي خلقه؟

" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" العلق:١ ثم بعد ذلك "عَلَّمَ الْإِنسَانَ" العلق:٥، هنا لأن إحنا قلنا إن سورة الأعراف أشبه بمكملة لسورة الأنعام، وسورة الأنعام تكلمت عن الخَلق، وهنا عن الرسالة، لكن أيضًا جاءت قضية الخلق بعد ما هُيّئت الأنفس والمشاعر لتلقي هذه الحقيقة، "إن، بالتأكيد، ربكم" ربكم قيل بتعود على "اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ" الأعراف:١، أي أن الذي يأمركم وينهاكم هو خالق كل شيء، لماذا يخاف الإنسان من طاعة ربه؟ خايف ليه؟ لماذا تخاف أن

تسير في هذا الطريق؟ الذي أمرك هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، هو الذي يسير الليل والنهار، هو الذي يسخر الشمس والقمر والنجوم، فمم تخاف إذًا؟ لماذا تخاف؟

الذي أمرك هو الذي خلقك، وهو أهلٌ لأن يأمر، لأن الذي خلق هو الذي يأمر: "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ"الأعراف:٥٤. كيف يأمر من لم يخلق؟ يعني حتى في عادات الناس، لما الأب يقول لابنه شيء ثم يأتي رجل غريب يأمر الابن، فيتعجب الأب أنت بتقول للطفل؟ أنا اللي بصرف عليه وبأكله وبشربه وبعلمه، أنت لماذا تأمره؟ لماذا يطيعك؟ هو يطيعني أنا ولله المثل الأعلى، هذا لمجرد هو لم يخلق شيئًا "أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ " الواقعة:٥٩، هو لم يفعل شيئًا، تخيل أن الله –عز وجل– هو الذي خلق، وهو الذي دبر، وهو الذي رزق، كيف يُنازع في الأمر –سبحانه وتعالى–؟ لذلك قال ربنا: "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ" الأعراف:٥٤، "إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" الأعراف: ٥٤ هذه لا يُنازع فيها –سبحانه وتعالى–والتحدي قائم "لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ" الحج:٧٣.

يعلمنا الله أن كل شيء يأتي بالتدرج

"إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ" ربكم قلنا تعود إلى "اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ "، ربكم الذي أمركم هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، قالوا في ستة أيام وهو قادر –سبحانه وتعالى– على أن يخلقها دُفعة واحدة، هذه سُنَّة التدرج، يَسُن الله –عز وجل هذه السُنَّة حتى لا يكون في صدرنا حرج أن من الحكمة التدرج في الأشياء، وأن الأمور لا تأتي دُفعة واحدة، وأن الإنسان يصل إلى ما يريد بنوعٍ من التدرج "فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" وهو استواء حقيقي كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه –سبحانه وتعالى–، "ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ"، هنا تسيير الكون، يخبرنا ربنا في هذه الآية أن فيه سُنن للكون وفيه سُنن للبشر.

اختار الله –تعالى– للكون التسخير وللبشر الأوامر

الله –عز وجل– اختار للكون التسخير واختار للبشر الأوامر، فالله –عز وجل– كان هو –سبحانه وتعالى– يفعل ما يشاء، كان من الممكن أن يجعل أن البشر أيضًا مسخرين كالشمس والقمر، فليسوا بأقوى من الشمس والقمر، قال ربنا أن هذه المخلوقات "مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ"، هذه المخلوقات أخبرنا ربنا –سبحانه وتعالى– أن هذه المخلوقات مسخَّراتٍ بأمره –سبحانه وتعالى– فكان من الممكن يكون هذا موجود أيضًا مع البشر، لكن أخبرنا ربنا –سبحانه وتعالى– أنه اختار للكون التسخير، أخبرنا ربنا عن سُنن تدبير، "يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ"، يجعل الليل يغطي على النهار، يُغشي بمعنى يغَشِّي الليل النهار، الله –عز وجل– هو الذي جعل الليل يغطي الليل على النهار "يَطْلُبُهُ حَثِيثًا"، العلماء اختلفوا من الذي يطلب من؟ حثيثًا، من الفاعل والهاء تعود على من؟ الأغلب وده اختيار الطبري يطلب الليل النهار حثيثًا، قال بعضهم لا، يطلب النهار الليل حثيثًا، وابن

كثير اختار الجمع أن ده الاتنين يطلبون بعضهم البعض وهذا من التبادل والتنازع، لماذا هذه السُنَّة الكونية تحديدًا تُذكر هنا، في قاعدة مهمة جدًا في القرآن القاعدة دي عايزه استفاضة لكن هشير إليها، أظن كنت ذكرتها في آخر سورة فاطر وفي تفسير المثل في سورة الرعد، "أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً" الرعد: ١٧، قضية هامة جدًا، الله –عز وجل– يذكر في القرآن سُنن الكون أن الماء ينزل من السماء فيخرج به النبات، أن الشمس تدور، " كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى" الرعد: ٢، "كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" الأنبياء: ٣٣.

ذكر الله لنا هذه السُنن لنستفيد منها

هذه السُنن التي يذكرها لنا ربنا –سبحانه وتعالى– من المخلوقات، هذه نستفيد منها لأن لها في المقابل وفي المشابه وفي المناظر سُنن اجتماعية في حياة الإنسان، بمعنى، أن الله –عز وجل– يذكر لنا هذه السُنن إما يوضح لنا بعدها ما هي السُنَّة المشابهة من السُنن الاجتماعية أو يتركها لنا لنستنبطها، ده أمر مهم جدًا في القرآن، من قواعد القرآن مثلًا، "أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا" الرعد: ١٧، دي سُنَّة كونية مش اجتماعية، مش تخص البشر أن الميه بتنزل من السماء أنزل من السماء ماء تسيل الأودية، كل وادي بيسيل على حسب القدر الذي خلقه الله –عز وجل– عليه، "فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا"، الطبيعي أن القاذورات والأشياء الهشَّة التافهة اللي موجودة في الأرض بيحملها السيل "فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا"، ثم يزداد هذا الزبد يزداد حتى ينقشع ويُلقى مجافيًا بسبب استمرار وقوة السيل، "أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ"، هذه سُنَّة.

سُنَّة أيضًا كونية أنت تشاهدها مادية حينما تضع الذهب في النار، في فرن في النار، يسقط الزبد الذي على الذهب ويبقى الذهب الأصلي الخالص الصافي "وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ"، هذه الذي يقرأ مقدمة هذه الآيات لا يفهم، هل يخبرنا ربنا –سبحانه وتعالى– عن أحداث نراها بأعيننا فقط؟ قال ربنا "كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ"، ترجع تاني تقرأ المثل مرة أخرى، يعني كل هذه الأشياء لها مماثلات، هذه السُنن الكونية لها مماثلات في الحياة الاجتماعية، نعم في بعض الآيات يخبرنا ربنا صراحة كما قال الحق والباطل، في بعض الأوقات يُترك لك مساحة للاستنباط بل كل سُنَّة أنت تراها تعاقب الليل والنهار مثلًا هذه سُنَّة، أنت ممكن تفكر فيها، هذا أيضًا من تعاقب الحق والباطل وأن الأيام دول وأنه مهما طال الليل لابد من طلوع الفجر، وكذلك مهما طال وقت الاستضعاف لابد من مجيء وقت التمكين.

التعاقب دائمًا مستمر بين الحق والباطل

فيخبرنا ربنا –سبحانه وتعالى– أن الليل والنهار يطلبون بعضهم البعض، "يَطْلُبُهُ حَثِيثًا"، سير متعاقب بين الحق والباطل، وأن الذي يدبر هذه الأمور هو الله –سبحانه وتعالى–، لذلك النبي –صلَّى الله عليه وسلم– كان رأى رؤية، الحديث في البخاري ومسلم "رأى رجل طيب الخِلقة"، الحديث طويل شوية، "أُرِاني في المنامِ عندَ الكعبةِ فرأيت رجلًا آدمَ كأحسنِ ما

ترى من الرجالِ له لُمَّةٌ قد رُجِّلَت ولمتُه تقطرُ ماءً واضعًا يدَه على عواتقِ رجلينِ يطوفُ بالبيتِ رجِلُ الشعرِ فقلت من هذا فقالوا المسيحُ بنُ مريمَ ثم رأيت رجلًا جعدًا قططًا أعورَ عينِ اليمنى كأن عينَه عنبةٌ طافيةٌ كأشبهِ من رأيت من الناسِ بابنِ قَطَنٍ واضعًا يدَيه على عواتقِ رجلينِ يطوفُ بالبيتِ فقلت من هذا فقالوا هذا المسيحُ الدجالُ" أخرجه البخاري

الكل يطوف، الطواف ممكن ترى كأن الدجَّال يسير خلف عيسى، وكأن عيسى –عليه السلام– يسير خلف الدجَّال، هذا هو تعاقب الحق والباطل إلى أن ينتهي هذا التعاقب وهذا الطواف وهذا الدوران ينتهي بقتل عيسى –عليه السلام– للدجَّال يقتله، عيسى– عليه السلام– يقتل الدجَّال، هذا التعاقب مستمر بين الحق والباطل.

أعطانا الله –تعالى– الفرصة في الاختيار في الدنيا لنُحاسب يوم القيامة

"يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ"، هذه المخلوقات العظيمة "مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ"، هذا الأمر الكوني، هناك أمر شرعي، ونفرِّق بين الأوامر؛ فيه أوامر كونية، وفيه أوامر شرعية، أوامر كونية بطلوع الشمس من مشرقها، تسخير المخلوقات، أوامر شرعية الإنسان لا يستطيع أن يصادم الأمر الكوني، يأتيه أمر كوني أن يموت، يأتيه أمر كوني أن يمرض، دي قضية التسيير والتخيير اللي الناس بتخوض فيها، الأمر الكوني لا يُنازع، الأمر الشرعي أعطاك الله –عز وجل– فرصة في الدنيا للاختيار ثم تُحاسب عليها يوم القيامة، ده الأمر الشرعي، "مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ"، كما أن له الأمر الكوني كذلك أيضًا له الأمر الشرعي، هو الذي يأمر الأوامر الشرعية –سبحانه وتعالى– .

البركة كلها في طاعة أوامر الله –سبحانه وتعالى–

"أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"، نحن نفرح بذلك فالبركة في أمره –سبحانه وتعالى–، كما أن الكون مُدبَّر ومُنسَّق ومُهيأ بأوامره الكونية، فكذلك لو أطعنا الله يكون هذا الكون في قمة التدبير والإحكام، إنما يظهر الفساد بسبب عصياننا لأوامره الشرعية، هذا التسخير الذي تراه في الكون نحن نُفسده بمعاصينا، لذلك قال بعدها ربنا: "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا" الأعراف: ٥٦، أي بالمعاصي "تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"، الذي يقرأ هذه الآية يخرج بقلب مفتقر إلى الملك فجاءت الآية التي تليها مباشرة، يعني تؤكد هذا الشعور وتقول للقلب ادعو ربكم، أول آية "اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ" الأعراف: ٣، وهنا "إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ"، المؤمن لا يكتفي فقط بمجرد العبادة بل يلجأ إلى الله ويدعوه "ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" الأعراف: ٥٥.

الدعاء لله يجب أن يكون بإخلاص

النتيجة الطبيعية من آية "إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ" أن تدعو ربنا، أن تتجه إليه، "تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً"، ما معنى تضرعًا وخُفية، التضرع قالوا محاولة الفصيل الصغير من أولاد الناقة وغيرها من الدواب أن تصل إلى ضرع الأم لأنها في حاجة إلى الضرع وإلا تموت، فالتضرع يمثل مدى احتياج الإنسان إلى ربه وإلا يموت، يقول لك التضرع يأتي في الأوقات الصعبة، في منتصف البحر مع

اشتداد الرياح، هنا يأتي التضرع "فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا" الأنعام: ٤٣، مش بس فقط الدعاء، "تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً"، الخُفية اللي هو في السر، فالعلماء قالوا إما أن التضرع هنا عكس خُفية، فيكون معنى "ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً"، أي ادعوا ربكم جهرًا وخُفية، لكن الجهر حتى لا يمثل الرياء يكون مصاحبه التضرع، وقال بعضهم أن الاتنين بمعنى واحد، وأن المقصد الدعاء في الخفاء فقط، وأن التضرع هي الحالة الوجدانية التي يعيشها الإنسان أثناء هذا الاختفاء عن الناس وأن المقصد "ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً"، المقصد هو الإخلاص كما اختار الإمام الطبري، اختار غيره من المفسرين أن تضرع الجهر والخُفية السر، فأنت تدعو ربنا في كل الأوقات، منفردًا ومع الناس.

يجب الانتباه حينما ندعو أن لا نعتدي في الدعاء

"إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"، ما علاقة هذه الآية ما معنى المعتدين؟ المعتدين على حسب التعلق في الآية أو الآيات السابقة، المعتدين ده اسم فاعل ولا اسم مفعول؟ اسم فاعل هما اللي اعتدوا، طب اعتدوا في إيه؟ لم يذكر القرآن هذا، من أسباب اختلاف المفسرين أن يُحذف جزء من الجملة مفعول مثلًا، هذا يؤدي إلى اتساع معنى الآية، ويؤدي إلى الاختلاف الذي يؤدي إلى التنوع، قال بعضهم هي متعلقة بالشطر الآية الأول ادعوا ربكم إنه لا يحب المعتدين في الدعاء، إنه لا يحب المعتدين في الدعاء، بمعنى هذا السلاح الذي أعطاه –عز وجل– لأهل الإيمان لا ينبغي أن يتعدَّى فيه، له قواعد وله آداب وله سُنن، قال بعضهم أيضًا في التعدِّي في الدعاء لا تسأل منازل الأنبياء.

الله يغضب من العبد الذي لا يسأله

وهنذكر القول ده إيه علاقته بالآية اللي بعدها "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا"، بعضهم قال أن المعتدين مرتبطة ب "مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ"، أي لا يحب المعتدين عن أوامره فكما أن الله –عز وجل– وضع قواعد وسُنن للشمس والقمر والنجوم هذه المخلوقات لا تتعدَّاها فأيضًا أنت لا تتعدى أوامره –سبحانه وتعالى–، مش مرتبطة بالنص الأول من الآية، مرتبطة بالآية التي قبلها، وقال بعضهم: "إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" معناها ادعوا ربكم تضرعًا وخُفية إنه لا يحب الذين لا يدعونه، ثم اتشالت كلمة لا يدعونه واتحط المعتدين، لأنه الذي لا يدعو الله معتدٍ، كيف يعيش في الدنيا وهو لا يدعو الله، الله –عز وجل– يغضب إذا لم يُسأل –سبحانه وتعالى–.

من صرف هذه المشاعر لغير الله فقد اعتدى

لماذا يغضب الله –عز وجل– من عبدٍ لا يسأله لماذا؟ لأن الإنسان في حقيقته مفتقر إلى الله، فحينما يُعرِض الإنسان عن سؤال ربه هو متكبِّر، يعني هو يحتاج وفقير ثم لا يسأل إذًا هو متكبّر، لا يريد، لذلك الدعاء هو العبادة، هو إظهار الافتقار للملك –سبحانه وتعالى– فقيل المعتدين أي الذين لا يسألونه، فالذين يدعون ربهم خوفًا وطمعًا أو خُفية؛ تضرعًا وخُفية هؤلاء يحبهم الله، أما الذين لا يدعونه تضرعًا وخُفية لا يحبهم الله، وقال بعضهم أيضًا في الدعاء، الذين يجعلون مع الله في

الدعاء شركاء، فيه وساطة في الدعاء، أي يدعون غيره، فيه مشاعر في القلب لا تنبغي إلا لله، هناك مشاعر في القلب افتقار، وتضرع وتأله ولا تنبغي إلا لله، فمن وضعها لغيره فقد اعتدى؛ ده ظالم، فيه مشاعر من الخوف والرهبة والرجاء، لذلك الآية التي بعدها ادعوا ربكم خوفًا وطمعا، هذا الخوف والطمع لا يكون في الحالة القصوى والمُثلى إلا له –سبحانه وتعالى–، لاينبغي إلا له، فمن صرف هذه المشاعر لغيره فقد اعتدى "إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ".

صور الفساد في الأرض

"وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ" الأعراف: ٥٦، من معاني "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا"، طبعًا فيه قاعدة عامة الآية ممكن نستعملها قاعدة عامة، "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا"، نهي عن إفساد كل شيء تم فيه إصلاح وبذل ومجهود، لذلك من الأخطاء إنك لما تيجي تنتقد عمل، هذا النقد قد يؤدي إلى هدمه، هذا من الإفساد بعد الإصلاح، أنت تريد إصلاحه فلابد أن توازن هذا النقد سوف يؤدي إلى الكمال؛ هذا مطلوب، أما أنه سوف يؤدي إلى النقد بالدال يتحول إلى نقض بالضاد ينقض ويهدم هذا غير مطلوب، فالأمور تحتاج إلى موازنات فلا ينبغي أبدًا أن أمر يكون فيه إصلاح ثم نأتي عليه ونَكِر بالفساد؛ نفسده، هذا أمر يبغضه الله –عز وجل–، كذلك إفساد الفطر، إفساد الناس بعد أن عادوا إلى ربهم.

معنى الإصلاح ومعنى والإفساد في الأرض

"وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا"، قال الإمام الطبري ، "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا"، أي أن الله، إيه هو الإصلاح الأول؟ عشان نعرف الإفساد، قالوا أن الله –عز وجل– أصلح الأرض، ثم الناس يفسدون فيها، بماذا أصلح الله الأرض؟ اختلفوا، الإمام الطبري اختار أن إصلاح الأرض بإرسال الرسل وبإنزال الكتب، إصلاح الأرض بماذا؟ بإرسال الرسل وبإنزال الكتب، فالفساد يكون بمعصية الرسل وبالإعراض عن الكتب، فكيف تفسدون في أرضٍ أنزل الله فيها الرسل وأنزل فيها الكتب، قال بعضهم أن الله أصلح الأرض بالسنن الكونية، تسخير وجود الماء والشمس والقمر والرزق والجبال هذا الإصلاح قد يفسد بسبب المعاصي "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ" الروم: ٤١، أظن هذا المعنى مروي عن مجاهد، إن المعاصي تؤدي إلى الفساد في الأرض فيختل نظام الكون وتفسد الأرض، بسبب المعاصي، "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا"، فالفساد في كلا الحالتين بالمعاصي.

لكن لو احنا قلنا أن الإصلاح زي ما اختار الإمام الطبري، إن هو بإرسال الرسل وإنزال الكتب إذًا أنت كمصلح عايز تسمي نفسك مُصلح في الأرض، أنت تقوم على دعوة الرسل ونشر الكتب، ونشر القرآن، إذا أردت أن تكون مُصلِحًا في الأرض، من معاني الإصلاح هي إقامة دعوة الرسل ونشر كتاب الله –سبحانه وتعالى– بين الناس، "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا"، حتى نطبق هذا المعنى؛ إن احنا منفسدش في الأرض حتى تسير على طريقٍ مستقيم أنت بين خوفٍ ورجاء،

"وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا"، اللي عايز يطبق مراد ربنا دايمًا خايف، لذلك سيدنا إبراهيم وهو يبني الكعبة مع إسماعيل يقول: "وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ" البقرة: ١٢٨، أنت تريد البصيرة ثم تطبق فتخطيء فتريد المغفرة، يعني أنت محتاج حاجتين في الطريق لربنا أنه يعرَّفك الطريق ثم يغفر لك الزلل أثناء الطريق "وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ".

من يريد رحمة الله يكون من المحسنين

فهنا الله –عز وجل– أنزل الكتب، أصلح الأرض بإرسال الرسل وإنزال الكتب فتريد أن تطبق، وأنت تطبق تكون على وجل، وتسأل الله –عز وجل– السداد، أن تستمر على إصلاح الأرض "وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا"، قال بعضهم أن "ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً"، هيئة الدعاء، "وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا"، مشاعر الدعاء، فبين هيئة الدعاء الجهر والسر ثم مشاعر الدعاء الخوف والطمع، "وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا"، الذي يسير على أمر الله كما سارت النجوم والشمس والقمر على أمره، ولكنه يسير طوعًا لا كَرها، الذي يدعو ربنا تضرعًا وخُفية، الذي لا يعتدي في الدعاء، الذي لا يفسد في الأرض، الذي يساعد على الإصلاح، الذي يدعو ربنا خوفًا وطمعًا هؤلاء هم المحسنون ورحمة الله قريبة منهم "إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ" الأعراف: ٥٦، أي الذين فعلوا هذه الأفعال السابقة، يبقى اللي عايز يتصف بالإحسان وينال رحمة الله –عز وجل– يطبق هذه الأشياء.

"إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ * وَهُوَ الَّذِي" الأعراف ٥٦: ٥٧، وهو معطوفة على الذي خلق، إن ربكم الله الذي خلق وهو الذي، "الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ"، احنا قلنا أن من عادات القرآن عدم الاكتفاء بذكر السُنَّة الكونية، لكن لابد أن يكون ليها إسقاط في حياتنا الاجتماعية، في كتاب قيِّم كُتب في المبحث ده اسمه "إعجاز النظم القرآني في اقتران السُنن الكونية بالسُنن الاجتماعية"، دكتور اسمه توفيق علي، كتاب قيم، كتيب صغير، وطبعًا فيه متقدمين، ابن القيِّم أفاض في ذلك ومنهم أيضًا من المعاصرين الشيخ رفاعي سرور كان أيضًا اتكلم في كتاب "قدر الدعوة" في هذا المعنى لكن هو حاول يصيغ الأمر في كتيب اسمه "إعجاز النظم القرآني في اقتران السُنن الكونية بالسُنن الاجتماعية في القرآن"، وغالبه كلام للمفسرين رائع تجميعة طيبة وهو اجتهد أيضًا في استنباطات جيدة في كيف أن القرآن يجمع بين سُنَّة كونية ثم تأتي مباشرةً بعدها سُنَّة اجتماعية.

زي أن الله –عز وجل– ينصر أهل الحق بعد تعاقب الليل والنهار، فكأن هناك إشارة إلى ذلك، كما ذكرنا في بعض سور جزء عم في سورة والليل والشمس والضحى هذه الأقسام، بهذه المشاهد الكونية فيها إشارة أن سوف يظهر الدين ويأتي النصر بعد طول الليل، "وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ " الأعراف: ٥٧، دي سنة كونية؛ اللي يقرأ الآية لغاية هنا يعتقد أن الكلام بس مجرد أن ربنا بيقُص علينا ما يحدث من نزول الماء وقصة خروج الثمرة.

قصة خروج الثمرة بتأتي بداية من الرياح التي يدبرها الله –عز وجل– ويسيرها بطريقة معينة، هذه الرياح تنتشر في أماكن بطريقة معينة، تسوق السحاب، هذا السحاب يصبح ثقالًا مُحمَّل بالماء، هذا السحاب المُحمَّل بالماء لا يسير بطريقة عشوائية، لكن يسوقه الله –عز وجل– إلى أماكن محددة بأوقات معينة ثم يُؤمر السحاب في هذه الأماكن بإنزال الماء "سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ"، فينزل الماء وبتقديرٍ من الله على أماكن معينة ميتة، ثم يخرج الله –عز وجل– الثمرات من هذه الأماكن، ده سُنَّة كونية، هذا ما يحدث أيضًا في الدعوة إلى الله، وإن كان هنا لم يذكرها الله، الله –عز وجل– ذكر أن السُنَّة اللي مقابلها إحياء الموتى، "كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"، أي كما أن الماء ينزل من السماء، فأن الله –عز وجل– قادر على إحياء الأرض الميتة بالماء من السماء، فالله –عز وجل– قادر على إنباتكم مرة أخرى بعد أن تموتوا، فالذي أخرج النبات من الأرض هو قادر على أن يُنبتكم مرة أخرى، "كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ".

فالآية تصلح لدليل عملي واقعي مرئي على قدرة الله على إحياء الموتى، وتصلح أيضًا على قضية بعثة الرسل، طب جبنا الكلام ده منين قضية بعثة الرسل؟ احنا قلنا أن السنن الاجتماعية إما يُنص عليها أو تُستنبط، هنا فيه الاتنين، فيه إشارة ليها في الآية التي بعدها، "وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ" الأعراف: ٥٨، ثم الآيات التي تليها "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا" هود: ٢٥، فكما أرسل الرياح أرسل الرسل، التعاقب بين إرسال الرسل وإرسال الرياح موجود في سورة فاطر وسورة الروم، وفي آخر سورة النحل، هذه المواضع تجد إرسال الرسل ثم إرسال الرياح، ثم إرسال الرسل، أو إرسال الرسل ثم إرسال الرياح، كما أن الله –عز وجل– يرسل الرياح بُشرًا، هنا القراءة بحفص بشرا، وفي قراءة بُشُرا، وفي قراءة نُشرًا، فإما بالنون أو بالباء، النون قالوا من معانيها النشر، ومن معانيها الإحياء أو اتجاهات متعددة طيبة، والبُشر بمعنى البشريات، فالريح مجموعة القراءات، الريح تأتي من اتجاهات مختلفة تأتي لغرض إحياء الموتى، تأتي طيبة، تأتي بالبشرى، "بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ" بين يدي نزول المطر، فكذلك الرسل تأتي من اتجاهات متعددة، ويصرِّفون الآيات، يدخلون للقلوب من مداخل متعددة. يأتون يبشرون الناس برحمة الله –عز وجل– إن هم أطاعوه.

الله –سبحانه وتعالى– يسوق لنا الأرزاق والهداية

"وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ"، خد القاعدة دي مهمة، كما أن الله –عز وجل– يسوق للناس الأرزاق، أيضًا يسوق لهم الهداية، زي ما الكون مُدبَّر بحركة الشمس والقمر وحركة الرياح، كذلك الله –عز وجل– يدبر حركة الدعوة، يقدِّر في هذا المكان خروج نبي، وفي هذا المكان خروج داعية، وفي هذا المكان خروج طالب علم، ثم يتحدون ثم تصير الدعوة إلى مكان معين، إلى بلد ميت، الله –عز وجل– يدبر لهذا الدين، ويغرس لهذا الدين –سبحانه وتعالى– وينصر هذا الدين ولو بالرجل الفاجر، المؤمن حينما يسمع هذه الحقائق، لا يتكاسل، بل يعمل مطمئنًا، فإذا جلس في الغار قال: لا تحزن إن الله معنا، لكنه يعمل.

"حَتَّىٰ إِذَا"، تستمر الرياح بسوق السحاب، متى تتوقف السحاب في مكان معين ثم تمطر؟ يعني تخيل كده السحاب عمال يجري، الرياح بتسوق السحاب، " وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ"، تستمر الرياح في سوق السحاب حتى يتوقف السحاب في مكان معين، متى تتوقف السحابة في مكان معين؟ حاجتين، تكون السحابة ثقيلة بالماء "حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا"، وهشرح المفردات الآن، "حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ" أي أقلت الرياح، "سَحَابًا ثِقَالًا" بالماء "سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ"، تتوقف السحابة أمام بلد ميت، أقلَّت أي حملت أن تُقِل شيء أن تحمله، واللغويين اختلفوا إيه علاقة أقلَّه بحمله، الزمخشري قال: دايمًا اللي بيحمل شيء يراه في عينه قليلًا لأنه استطاع أن يحمله، وأي شيء لا يستيطع أن يحمله يراه كثيرًا، فكلمة أقلَّه أي رآه قليلًا لأنه استطاع أن يحمله، أي حاجة أنت تستطيع أن تحملها تراها قليلة. ده الأصل اللغوي للكلمة.

"حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ" حملت الرياح السحاب، تستمر الرياح حتى السحاب يصل إلى مرحلة معينة سمَّاها الله –عز وجل– سحابًا إيه؟ ثِقالًا، معنى مهم جدًا، السحاب لم يُنزِل الماء ولم يسقه الله إلى الأرض الميتة إلا حينما كان إيه؟ "حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ"، متى حصل سوق للسحاب؟ حينما كان السحاب إيه؟ ربنا مقالش "حتى إذا أقلَّت سحابًا سقناه"، لا "حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا"، مش أي سحاب يُساق إلى البلد الميت، كذلك إذا أردت الاستعمال، عليك بالثقال، احنا كثير منا بينشغل بقضية الاستعمال، ده أمر طيب، لكن فيه قضية قبلها مهمة أن تكون ثِقالًا، تكون مليء، والثقال يأتي بالقول الثقيل، "إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا" المزمل: ٥، هذه السحابة حينما أصبحت ثقيلة بالماء الذي ينفع الأرض ساقها الله لبلد ميت، استعملها الله لإحياء البلد الميت.

كن ثقالًا لكي يستعملك الله –سبحانه وتعالى–

أننا حينما ننشغل بالاستعمال ولا نكون ثقالًا، تريد ماذا؟ أن تتنزَّه كالسحابة الفارغة تتنزَّه في السماء ولا تفيد الناس، تقف أمام الأرض هي تغطي الأرض فقط، ثم لا تُنزِل شيئًا، هناك من الناس من يغطي على أناس ويقف كأنه موجهًّا لإناس ثم لا يفيدهم شيئًا، هو فقط يمنع عنهم أشعة الشمس، لا يفيدهم بالماء، "حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا"، كن ثقالًا حتى يسوقك الله، الاستعمال منه –سبحانه وتعالى–، الله يرتب للداعية، "سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ"، لما يكون أو يعطيك الله –عز وجل– ما يحتاجه الناس يسوقك الله لهم، البلد الميت احتاجت الماء الذي في السحاب، فساق الله –عز وجل– السحاب الثقال لبلد ميت "سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ".

دائمًا لا تنسب الفضل إلا لله

والعملية كلها من عند ربنا، يرسل، أقلَّت سحابًا سقناه، أنزلنا، أخرجنا، كل العملية حتى لا تنسب لنفسك الفضل، ربنا اللي علمك وبيسوقك وبيستخرج منك الدين، ويجعل الكلام يؤثر في الناس، كل شيء من عنده –سبحانه وتعالى–،

"سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ"، الهاء دي اختلفوا فيها هل بالسحاب، ستكون باء الآلة، أو به باء المكان باء الملابسة، فأنزلنا بهذا المكان، أي بهذا البلد الميت أنزلنا بهذا المكان الماء، "فَأَخْرَجْنَا بِهِ"، نفس الخلاف هل أخرجنا بالماء، ولا أخرجنا في نفس المكان، "فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ"، كذلك يفعل القرآن، والدليل أن المعنى اللي بنقوله صحيح الآية التي تليها، "كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ"، أول معنى مستنبط من هذه السُنَّة قدرة الله –عز وجل– على إحياء الموتى "لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"، "وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ" الأعراف: ٥٨، معنى آخر أيضًا من قضية نزول الماء على الأرضِ، واحنا قلنا من المعاني الهامة في سورة الأعراف اختلاف الناس في التعامل مع الآيات التي جاء بها الرسل، فكذلك اختلاف الأرض وقابلية الأرض للتعامل مع الماء الذي أنزله الله، والحديث المشهور اللي بيفصّل هذه الآية، " إِنَّ مَثَلَ ما بَعَثَنِيَ اللَّهُ به عزَّ وجلَّ مِنَ الهُدَى والْعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أصابَ أرْضًا، ...." صحيح مسلم حديث طويل وقسم الأرض إلى ثلاثة أنواع، شرحته بالتفصيل في درس إنه القرآن، وأيضًا درس تفاعل القلب مع الوحي. تقسيم الأرض إلى ثلاث أقسام، الأرض القيعان، والأرض الأجادب التي أمسكت الماء، والأرض الطيبة التي كان منها أرضًا طيبة فقبلت الماء وأنبتت، قبلت وتفاعلت مع الماء وأخرجت الثمار.

أقسام الأراضي مثل أقسام النفوس

فهنا يخبرنا ربنا –سبحانه وتعالى– أن الأرض، الأراضي بتختلف نتائجها على حسب طبيعة الأرض، فكذلك القلوب، الماء ثابت هو الوحي، الماء هو الوحي ثابت طيب، لذلك هنا ربنا –سبحانه و تعالى– فرَّق بين الأراضي أرض طيبة وأرض خبيثة، وإن كان بعض أهل العلم قال إن الذي خبُث مشكلته أنه لم يعد يتلقَّى ماءً نقيًا، بل أصبح يتلقِّى ماءً مالحًا، وده كلام أشار إليه الإمام الطبري، أن الذي خبُث خبُثت تربته في أرض سبخة طينية لا تُمسك الماء ويتلقى ماءً مالحًا، الماء المالح هو ماء لكن فيه زيادات، وكذلك أحيانًا الأفكار التي فيها بعض الوحي لكن مشوبة بأراء وأفكار ضالة، هذا المعنى المتداخل هو لا ينتج الثمار، واضح المعنى؟

"وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ"، ركزوا معايا في المقارنة بين الاتنين، عايزين نحط كده خط مقارنة على اليمين، "وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ"، ثلاث مقاطع، بلد طيب، يخرج نباته، بإذن ربه، ثلاث مقاطع، قصادها ثلاث مقاطع، "وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ"، في النص "إِلَّا نَكِدًا ۚ"، طيب نقارن ما بينهم، البلد الطيب قصادها هناك إيه؟ والبلد الخبيث صح؟ البلد الطيب قصادها إيه؟ والذي خبُث، تعالوا نفرَّق، إيه الفرق بين البلد الطيب وبين الذي خبُث، ليه ربنا مقالش البلد الخبيثة؟ يعني البلد الطيب، أصل الفطرة سليمة، خبُث أي تحول إلى خبيث، صيغة فعُل بيتحول إلى شيء حتى يصبح سجية له، صيغه فعُل، فقُه أي صار فقيهًا، فقه المسألة، بتقول فقه فلان بتحتاج إلى مفعول، فقه فاعِل تحتاج إلى مفعول، فتقول فقه هذه المسألة أى فهمها كويس، لكن فقُه متحتاجش لمفعول، فعل لازم أي أصبح فقيهًا، أصبحت سجية.

لذلك يقولوا فعُل تاخد فعيل، فقُه فأصبح فقيهًا، فخبُث أصبحت خبيثة، فعيل، قالوا صيغة فعيل دي من الصيغ المُلازمة زي قصير وطويل، يعني مش هو بيبقى قصير وبعد كده بيبقى فجأة طويل، أو طويل وبعد كده بيقصر، دي صيغ مُلازمة، فكلمة الذي خبُث يعني كانت فطرته سليمة، كانت أرضًا طيبة، ثم أفسد فطرته لدرجة أنه لم يعد يستطيع الرجوع أصبح الخُبث سجيةً له، عارف "... وما يَزالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الكَذِبَ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذّابًا ..." صحيح مسلم كان الشيخ الشنقيطي بيشرح الحديث ده بيقول: لا يستطيع أن يتكلم بالصدق الكذب أصبح سجيَّة، يعني أمر لا يستحق الكذب الأمر مش مستاهل أنه يكدب، ثم يكذب، لا يستطيع أن يتكلم بالصدق و–العياذ بالله–.

المؤمن ينفذ الأوامر بكل سهولة ويسر

فالذي خبُث أصبح الخبث سجيةً له، ففي بلد حافظت على الفطرة، البلد الطيب، فيه قلوب حافظت على الفطرة، وفيه قلوب وفطر خسروا أنفسهم، اللي بتتكرر معانا في السورة، خسر هذه الطيبة، خسر البلد الطيب والفطرة النقية؛ أفسدها، دي البلد الطيب قصادها إيه؟ والذي خبُث، دي عندنا يخرج نباته، ودي لا يخرج، فكلمة يخرج نباته قالوا فيها سلاسة وسهولة، وأن الإنسان المؤمن لما بيأتيه الأمر بينفِّذ بكل سلاسة وكل سهولة وكل يسر، التاني عسر وده من معاني النكد، "لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ".

ما معنى النكد؟

طيب بإذن ربه قصادها إيه الناحية التانية؟ إلا نكدا، نتكلم الأول على إلا نكدًا،عشان نفهم يعني إيه بإذن ربه، قالوا النكِد، العسر والشؤم والقلة، النكِد: الناقة التي لا تعطيك اللبن، مهما تطعمها، عكسها الشكر، النكِد اللي عطاء ندر قليل مع شدة وعسر، يعني واحد تقعد تكلمه ثلاث سنين في الدين مثلًا، في الآخر يطلّع بعض الأعمال، مفيش "أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا" العنكبوت: ١٤ ، العُشر، لذلك احنا عندنا استعمال في مصر النكد، اللي أنت ممكن يعني، مثلًا يعني مثلًا تصرف كتير عشان يبقى في يوم حلو كويس، تلاقي إيه نص ساعة مثلًا، يقول لك إيه ده الحياة دي نكد، فالنكد المقصود به إيه؟ القلة والنذر القليل.

بعضهم قال: لا يخرِج إلا نكدًا ليها معنى من الاتنين، يعني مبيخرجش إلا قليل جدًا، وبعضهم قال: لا يُخرِج دي خلاص، إلا نكِدًا ده اسمه استثناء منقطع، يعني لا يُخرِج أصلًا، ولكن لا يُخرِج النبات، يُخرِج أمر فاسد، نبات ضار، فالبتالي يخرج نباته هذا نبات نافع، أما "لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ"، من معانيها يُخرِج نباتًا لا نفع فيه بل ضار، وروي عن بعض السلف أن يُخرِج نبات لا نفع فيه.

أقوال العلماء في قوله تعالى " بِإِذْنِ رَبِّهِ"

طيب الناحية الثانية، لو احنا اختارنا أن ده بيُخرِج أعمال قليلة يسيرة بعد طول تعب، يعني واحد سيول من القرآن تنزل عليه، ماء كثير ثم لا يُخرِج إلا بعض الأعمال، بل لا يكاد يُخرِج شيئا، طب المؤمن اللي بيطلعوا أد إيه؟ الخبيث بيطلَّع نكِدًا، طب ليه ربنا مقالش في المؤمن، "والبلد الطيب يخرج نباته كثيرًا سهلًا، يسيرًا، قال اكتُفي بوصف "بِإِذْنِ رَبِّهِ"، دي كفايه، شوف لما ربنا يأذن للمؤمن إيه اللي هيخرج منه بقى؟ فقالوا هذه الكلمة تُغني عن كثير من الكلام، أنه سهل، أنه طيب، أنه يسير، أنه مُبارك، أنه نافع، أنت أي أوصاف طيبة حطها هنا، لأن جت كلمة إيه؟ "بِإِذْنِ رَبِّهِ"، وده كان اختيار الزمخشري وتعليق الإمام الطيبي في الحاشية: أن "بِإِذْنِ رَبِّهِ"، أمام كلمة نكِدا، والاتنين عكس بعض، هذا لم يأذن الله –عز وجل– له أن يُخرِج شيئًا، وهذا أذِن الله –عز وجل– له بكل خير.

أيضًا "بِإِذْنِ رَبِّهِ"، تفيد التواضع أن ما يخرج منك من طاعات هو بإذن الملك –سبحانه وتعالى–، زي ما قلنا أن الأفعال كلها في الآية السابقة منسوبة إلى الله، "وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ"، إذًا هذا مثل وده مروي عن كثير من السلف، مثل ضربه الله للقلوب، أو مثل ضربه الله –عز وجل– للمؤمن والكافر، إن اختلافهم بيختلفوا في الاستجابة، الماء، منهم من يستجيب ويُنبِت ثمرات، ومنهم من لا يُنبِت شيئًا.

"وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ " ننوعها "لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ"، احنا قلنا الشكر، الدابة الشكراء أو الأرض الشكور، هي اللي بتاخد القليل من البذور والماء، أو بتاخذ القليل من الطعام –الدابة– وتعطي الكثير، الشاكر هو الذي يعطي الطاعات بأقل الإشارات، كانت هذه الآية آخر الآيات قبل الشروع في قصص الأنبياء، وكأن كانت هذه الآية ختام أن الذي لم ينفعه هذه المقدمة هو كالأرض الخبيثة، هذه المقدمة الطويلة، قصة آدم مع الشيطان، وأوامر الله – عز وجل– للبشر ونداءات أهل النار وأهل الجنة، وأصحاب الأعراف الذي لم تنفعه ولم تؤثر فيه هذه الآيات هو كالأرض الخبيثة.

ثم بدأ نموذج عملي شرح الكلام اللي فات ده، دي كمقدمة ثم نماذج عملية، نماذج عملية للأرض الطيبة والأرض الخبيثة، كيف تختلف استجابات الناس، فجاء قوله –سبحانه وتعالى– "لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ" الأعراف: ٥٩، هذه الآيات من هنا بدأ قصص الأنبياء وسورة الأعراف تميزت أن هي أتت بقصص الأنبياء على حسب الترتيب الزمني، في القرآن لا يشترط هذا في كثير من السور، لكن هذه جاءت وكأنها ترسم لنا، كما يقول صاحب الظلال: هذا الموكب الإيماني من أول آدم –عليه السلام– باستمرار التنازل الزمني قصص القرآن، حتى أن الإنسان يستحضر هذا المشهد العظيم.

الإنسان هو الذي يتوافق مع كل المخلوقات

أيضًا هذا المشهد هذا الموكب الإيماني جاء بعد آيات تسخير النجوم والشمس والقمر، حتى إذا وجد الإنسان نفسه في قلة مع أهل الإيمان، يستحضر أنه متوافق مع أغلب الكون، وأن هذه الكثرة الفاسدة التي يراها بعينه ما هي إلا شرذمة، هم القلة، الإنسان هو الذي متوافق مع كل المخلوقات، وأنه يسير على منهج الملك –سبحانه وتعالى–، لأن الغالب اللي بيؤمن هم قلة "وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ" هود: ٤٠، وهذه سُنَّة من لدن نوح –عليه السلام–.

قضية فصل بين قصة سيدنا آدم وقصص الرسل، ثم الفصل بين قصص الرسل وقصة سيدنا موسى لها حِكم، منها أن قصة سيدنا آدم مش القضية فيه أن هو رسول أتى إلى قومه وأعرضوا عنه، لا دي كانت المعركة الأولى حتى ندخل إلى الحياة، والتعامل في الحياة، ونحن مستحضرين هذه المعركة الأولى، أما "لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا"، كما أن الله –عز وجل– أرسل الرياح وكما أن الأرض اختلفت استجابتها للماء، فكذلك أرسل الله –عز وجل– الرسل، وكذلك الناس يختلفون في استجابة الوحي.

تطور المعصية في كل زمان

"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ" المؤمنون: ٢٣، قصص الأنبياء في سورة الأعراف له خاصية مهمة جدًا عايزين نلاحظها واحنا ماشيين، هنلاحظ قضية تطور المعصية، وتطور الكفر، كلمة تطور الكفر دي ذكرناها قبل كده في سورة الأعراف، ولا في سورة البقرة؟ في سورة الأعراف فين في سورة الأعراف، "وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا" الأعراف: ٢٨، إزاي الأمور بتنتقل من أن هو مجرد يفعل الفاحشة ثم يقوم ضد الضغط المجتمعي المعمول عليه أن هو يعملها أصلًا حاجة اجتماعية عادية مقبولة "وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا"، ثم يقول يحولها إلى شرع، وأن الأمور دائمًا بتتطور، وتكلمنا في مسألة أن العالم لابد أن يحتاط للأمور القابلة للتطور ويمنعها حتى لو مكروهة فقط، وأنه قد يتساهل مع بعض الأشياء حتى لو هي منهي عنها لكنها لا تتطور، هنجد احنا عايزين نلاحظ في قصص الأنبياء واحنا ماشيين مع بعض أول ملاحظة قضية تطور المعصية.

كل سورة تتميز بشيء معين

لذلك بعض العلماء وهو بيدرس كان الشيخ عدنان عبد القادر في كتاب جنى القلب الهايم في مواضيع السور التقط التقاطة جميلة جدًا أن كل قوم، هو عايز يدرس قصص الأنبياء في سورة الأعراف أن كل معصية بيعملها القوم بيجي القوم اللي بعدهم بيزودوا على المعصية دي فكأن الرسل كلهم مع بعض بيقاوموا كل الأقوام، بمعنى أن مثلًا هنا اتهموه بالضلال، في قصة هود اتهموه بالسفاهة، فكأنهم في الأول قالوا له أول ما جه أنت ضال فاستمر في الدعوة، فقالوا إذًا ننتقل إلى مرحلة أخرى نتهمه بالسفاهة، فاستمر في الدعوة فأتى بآية سيدنا صالح، فطلبوا معجزة أكبر فنشروا الفاحشة في قوم لوط، يعني إيه فيه تطور، أيضًا نلاحظ التطور من الكلمات المهمة جدًا جدًا في سورة الأعراف كلمة الملأ، الملأ تقريبًا جت

في القرآن من ١٧ لـ ٢٠ مرة، أو أكتر قليلًا على حسب مُعرَّفة بألف ولام أو مضافة، وهنتكلم عن معنى الملأ بالتفصيل، ٧ منهم في سورة الأعراف يعني بقية السور أعلى سورة خدت ٣، فيها ٣ زي سورة هود وغيرها، سورة هود والنمل، لكن أعلى سورة جت فيها كلمة الملأ زي ما قلنا أعلى سورة جت فيها كلمة الآيات سورة الأعراف هذه امتيازات للسورة، تفهم جو السورة.

الانتقال من الإرسال إلى التطبيق

فتطور كلمة الملأ أنا عايزك وأنت بتقرأ تلاحظ الفارق في الألفاظ المصاحبة لكلمة الملأ في سورة الأعراف، أيضًا إن أعطانا الله –عز وجل– التوفيق والسداد والعمر والوقت لما نيجي نشوف قصة سيدنا موسى في سورة الأعراف هنجد إن فيه فروقات بينها وبين سورة الشعراء، من الفروقات الرئيسية كلام الملأ وتحكم الملأ في سورة الأعراف.

نقاط سريعة في قصة سيدنا نوح "لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ" الأعراف: ٥٩، دايمًا سيدنا نوح الانتقال من الإرسال إلى التطبيق مباشرة، من الأمر إلى التنفيذ مباشرة، فقال مباشرة "يَا قَوْمِ"، نسبهم إلى نفسه حتى يكسر الكبر والفروقات، "يَا قَوْمِ"، أنا منكم وأريد الخير لكم، "يَا قَوْمِ"، دعوة ببساطة واضحة، "يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ"، من الكلمات المكررة واضح دعوة توحيد، لا أطلب منكم مال ولا جاه ولا سلطان، "اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ".

لذلك بعض أهل العلم قال: "مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ"، أنهم كانوا يشركون مع الله، وهذا بالفعل في قوم نوح –عليه السلام– ظهر الشرك فكأن الذي يشرك مع الله أحدًا كأنه لا يعبده، في الأول قال لهم اعبدوا الله فكأنه لم يعتَّد بهذه العبادة التي فيها إشراك، الله لا يقبلها، "اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ"، لماذا؟ إنَّ لما تأتي بعد أمر غالبًا تأخذ معنى التعليل، ليه بطلب منكم كده؟ لأني خايف عليكم، هذا الشعور حينما يشعر به الناس أنك تخاف عليهم وأن الدافع أنك تريد لهم الخير، لا أريد منكم شيئًا بل أريد لكم الخير، ويؤكد ذلك "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ"، لا أستطيع أن أصف لكم اليوم، هذا أمر لا تتحمله العقول، لكن هو عظيم والله –عز وجل– أخبر أنه عظيم فهو عظيم، "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ"، يؤكد ذلك، لا بد أن يشعر الناس في كلامك هذا الخوف أنك تخاف عليهم، لا تريد أن تنتصر عليهم.

الداعية لا يريد أن يحقق انتصارًا، مش رايح يكسب الناس، هو خايف عليهم، "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" الأعراف: ٥٩، مباشرة جاء الرد "قَالَ الْمَلَأُ" الأعراف: ٦٠، مباشرة لم ينتظروا، "قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ" ، الذي رد هو كان يخاطب القوم كلهم، سيدنا نوح قال يا إيه؟ ما قلش يا أيها الملأ، يعني في نداءات في القرآن "يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي" النمل: ٣٢ ، لكن هنا كان النداء يا قوم والذي أجاب من؟ الملأ، خاف الملأ على مراكزهم.

معاني كلمة الملأ

إيه معنى الملأ؟ قالوا الملأ فيها معنيين:

بعض المفسرين اختار معنى والبعض اختار معنى، والأغلب اختار الجمع، معنى شيء مملوء، فقالوا الملأ هم الذين يملئون أعين الناس وقلوبهم، الناس تبص لهم كده منبهرين، يملؤون لأنهم ملأى بالمال وبالسلطان وبالجاه، فالناس ينظرون إليهم فتمتليء قلوبهم وعيونهم بهؤلاء، منبهرين بهم، ده أحد معاني الملأ، وده اختاره كثير من المفسرين.

أيضًا قالوا الملأ تمالأ فلان وفلان يعني إيه؟ تمالأ يعني إيه فلان وفلان، تمالأوا على ذلك، اتفقوا، تعاونوا، فقالوا الملأ هم الذين اتفقوا على رأي واحد اختاروا رأي واحد، اختاره ابن عاشور، والأصفهاني صاحب المفردات اختار المعنيين مع بعض، إن دول قلة عندهم كثرة من الجاه والسلطان ملأى بذلك فهم يملؤون أعين الناس ورأيهم واحد، يتفقوا على رأي واحد مع بعض فهم القلة المتحكمة، قضية الملأ عايزة دراسة في القرآن قوية جدًا، لأن الأمر العالم كله يعيشه، وما الديمقراطية إلا وثن يلعب به هؤلاء القلة كغيره من الأوثان المطروحة على الناس، كل شوية يطرح وثن يمسك بخيوطه قلة يضحكون على الناس أنهم يشاركون ويقولون آراءهم ثم الذي يمسك بهذا الوثن ويحركه هم هذه القلة المتحكمة في العالم، وما اليهود منا ببعيد عن ذلك، ومن أفضل واحد كتب عن الملأ في القرآن الشيخ حسن صالح الحميد في كتابه "سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم"، عمل بحث كامل عن قضية الملأ في القرآن وغيره من الكُتَّاب خاصة المفسرين في شرح آيات سورة الأعراف.

دائمًا المنكرين يتركوا مضمون الدعوة ويتكلموا في الأشخاص

الملأ مباشرة هؤلاء القلة المتحكمة خافوا على مراكزهم، خافوا على سلطانهم برغم أنهم القلة لكن تصدروا وأجابوا لم يسكتوا قالوا: "قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ"، هو يقول لهم "اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ"، إما يردوا عن دعوة التوحيد، يقولوا، يثبتوا أن الأصل الشرك مش التوحيد أو ينفوا يوم القيامة، هما لم يتكلموا في التوحيد ولم يتكلموا في يوم القيامة، تكلموا في الشخص، هذه دائمًا من أفعال الملأ، قضية ماذا يفعل الملأ في القرآن قضية كبيرة جدًا بحث أشار إلى جزء منه الشيخ حسن صالح الحميد منها هدم الرسل، شخصنة الدعوة، "وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا" هود: ٢٧، شايفين إن أنت في ضلال وإن أتباعك أراذل لماذا نتبعك؟ لم يتكلموا في مضمون الدعوة، لم يناقشوا مضمون الدعوة، انتقلوا إلى الشخص المتكلم.

أسلوب الرد على المنكرين

قالوا: "إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"، أربع تأكيدات إنا كلنا مع بعض وبالتوكيد كلنا نرى نفس الرأي، إنا يؤكدون مجمعين، إنا دي اللي هي أصلها إننا، إنا مش لنظنك لا لام التأكيد لنراك، ده الموضوع عندنا كأنه رأي العين أمر منتهي دي واضحة

زي الشمس، إنا لنراك مش إنا لنظنك بك ضلال، إنا لنراك في؛ انغماس، في ضلال مبين يعني واضح، شوف الملأ دايمًا خطاب الملأ خطاب إعلامي لازم يجذب الناس، الملأ غالبًا لا ينزلون إلى الأرض هم يحركون، متى ينزل الملأ بأنفسهم إلى الأرض؟ إذا أحسوا بخطورة، "وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا" ص: ٦، سورة ص، لما أحسوا بالخطورة، سورة ص جاءت بعد الصافات، لما يصطف أهل الإيمان، "وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ" الصافات: ٨٣ ، لما بيتشايع أهل الإيمان مع بعضهم وبيصطف أهل الإيمان وكل واحد بيأخذ مكانه، "وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ" الصافات: ١٦٤، سورة الصافات، الملأ بيشعر بالخطورة وبينزل "أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ".

هنا الملأ بيكتفي دائمًا في الأول بحاجتين تحريك السلطة هو اللي بيسيطر على السلطة زي ما هيسيطر على فرعون هنا، سورة الأعراف المتحكم الملأ أو الخطاب الإعلامي اللي بيضل الناس، "قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا"، تأكيد واجتماع "لَنَرَاكَ"، وضوح في الرؤية عندنا، في ضلال؛ انغماس، مبين واضح، لا بد حينما ينتقل الملأ إلى هذه المرحلة الإعلامية لابد أن ينطلق الداعية أيضًا ليرد عليهم، لازم يرد الداعية قال يا أيها الملأ ليس بي ضلالة صح كده؟ لا، قال إيه؟ يا قوم، لم يلتفت لخلاش الخطاب خاص، هم عايزين يخلوا الدعوة خاصة، لا هو خلاها عامة، الملأ خاطبوا القوم ليضلوا القوم، هو خاطب القوم ينازعهم في الأشخاص، واضح المعنى ده؟ يعني الملأ ردوا عليه علشان الناس متسمعش كلامه وهو خاطب الناس ولم ينشغل بالملأ لأنه لو كان خاطب الملأ كان يبقى الخطاب ضيق، وينصرف الناس ويظنون أنه ضال فعلاً فدافع عن نفسه وبرأ نفسه. وقال يا قوم ولم يلتفت للملأ، شوف رده هم كان عندهم مؤكدات شوف هو قال إيه، قال الرد المتوقع على كلمة "إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ"، أن يقول لست في ضلال، إنا لنراك في ضلال كان يقول إيه؟ لست في ضلال، "قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" الأعراف ٦١: ٦٢، من أقوى الردود في القرآن ردود سيدنا نوح وخاصة في سورة هود، كان فيه درس كده عن أفكار أو مش فاكر اسمه حول سورة هود أظن كنت شرحت فيه كيف رد نوح عليه السلام على كل جملة قالها القوم، هم في آية واحدة في سورة هود قالوا ثلاث جمل وهو رد على كل جملة تفصيلاً، فكذلك هنا رد عليهم رد مفصل.

استمرار الدعوة رغم الإعراض

قال أول حاجة ليس بي باء مجرد ملابسة أو مصاحبة مش أنا في الضلال، أنا لم ألامس الضلال ولم أصاحبه لحظة، ليس بي ضلالة قال بعض أهل العلم منهم الزمخشري وغيره والطيبي رجح هذا المعنى أي ليس بي ولو مرة واحدة، لم أضل ولو مرة واحدة وإن كان بعض المتأخرين اعترضوا على ده زي ابن عاشور وغيره لكن المعنى مقبول ليس بي ضلالة أي لم ألامس الضلال ولو مرة واحدة، أنت بتقول لي أنا في ضلال، أنا لم ألامسه ولم أصاحبه ولو مرة واحدة، ليس بي ضلالة، كان ممكن يكتفي بالنفي هما اتهموه اتهام نفى عن نفسه، لا في نفي وفي إثبات نفى عن نفسه أن يلامس الضلال ولو مرة واحدة ثم قال "وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ"، في قمة الهداية أنا مش بس مهتدي أنا رسول ومن رب العالمين، ثم أنا لن أتوقف

بصيغة المضارع "أُبَلِّغُكُمْ"، هذا الكلام الذي تقولونه؛ تقعدوا تقولوا لنراك في ضلال أنا مستمر، الدعوة مستمرة وأنا مستمر.

"أُبَلِّغُكُمْ"، قالوا صيغة المضارع تفيد أنكم لن تمنعوني عن الدعوة، ومقلش أُعلمكم، البلاغ أعلى من الإعلام، البلاغ أن يبلغك الأمر مش مجرد إن أنا أعلمك ومطمنش المعلومة وصلت ولا لأ، لا البلاغ إن أنا أكرر ذلك ليلاً ونهارًا وأصرِّف الأقوال ومن كل الأحوال "أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ"، هنا ليه قالوا جمع مع إن تيجي معانا في السورة أحيانًا مفرد وفي سورة هود أحيانًا تيجي مفرد وجمع ليه هنا جت جمع؟ هو يدافع عن نفسه قالوا لكثرة ما معه من حق، أنتوا بتقولوا ضلال ده أنا معايا حق كثير أو لن أتخلى عن رسالة واحدة من رسالات ربي، أنتم تريدون منعي والله لن أتخلى ولو عن كلمة واحدة من كلمات ربي سأبلغكم كل الرسالات، لن أتوقف، "أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي"، لماذا نسبها ومقلش رسالات ربكم لأن الغالب في خطاب الأنبياء ربكم ليه قال ربي؟ أي هذه الرسالات أمر من ربي ليس لي اختيار في تركه، أنا عبد هو ربي أمرني فأنا أبلغ.

معنى النصح

"أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي"، لا أكتفي بالإبلاغ بل بعد أن أبلغكم أوامر الله أعلمكم كيف تنفذونه بطريقة طيبة "وَأَنصَحُ لَكُمْ"، مقلش أنصحكم قال أنصح لكم نصيحة اللام دي خالصة لكم، كل واحدة له النصيحة الخاصة بتاعته، ما معنى كلمة النصح؟ النصح جاي من معنيين:

استخلاص العسل من الشمع والشوائب لما تصفي العسل أنت كده بتخلص العسل فبتنصح العسل، تخلصه من الشمع والشوائب أو الثياب اللي يكون فيها محتاجة خياطة وعلشان تستر البدن يقولوا نصح الثوب فقالوا النصح يحتوي على معنيين؛ الكلام الخالص الصافي من كل شائبة مع حب الستر والمراعاة أنك عايز تستر اللي قدامك، تخيط نقصه، فالكلام الصافي الخالص النقي مع شفقة ورحمة هو ده اسمه نصح، الكلام الفظ الغليظ مع القسوة ده مسموش نصح حتى لو الكلام صح.

"وَأَنصَحُ لَكُمْ"، وكل ذلك لأني "وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"، قالوا يعني إيه أعلم من الله ما لا تعلمون؟ قيل إن قوم نوح كانوا أول الأقوام لما ينزل قبلهم عذاب إهلاك عام يعني كل الأقوام اللي بعد كده النبي يقول لهم إيه؟ اعتبروا مما حصل مع قوم نوح، اعتبروا مما حصل مع قوم هود، اعتبروا مما حصل مع قوم صالح، طيب هو مفيش أقوام تعذبوا قبله فقال: أعلم ماذا يحدث إذا أراد الله إهلاك قوم، أنا أعلم ذلك؛ لأني أعلم شدة عقابه وأنتم لا تعلمون وأعلم من الله ما لا تعلمون، ترفضون دعوتي لأني رجل منكم هذا أدعى للقبول، "أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ"، هو عايز منكم

إيه "لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" الأعراف: ٦٣، هو لا يريد منكم إلا الإنذار ثم التقوى ثم تحصـــيل الرحمة، أنا أقوم بالإنذار وأنتم تتقون والله –عز وجل– يرحمنا جميعًا "لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ".

النتيجة "فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ" الأعراف: ٦٤، المتوقع فكذبوه فأغرقناهم فأنجينا، الإنجاء يأتي بعد الإغراق يعني الإنجاء يأتي بعد الإغراق، كان قالوا ترتيب متوقع فكذبوه فأغرقنا القوم ثم أنجينا فقدم الإنجاء تطمينًا لأهل الإيمان أنهم دائمًا في معيته –ســـبحانه وتعالى– تطمينًا لهم، "فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ"، إيه مقلش الظالمين أو الكافرين "الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا"، ليه كذبوا بآياتنا؟ لأن سياق سورة الأعراف كله التعامل الخاطيء مع الآيات، تكذيب الآيات جحد الآيات الاستكبار عن الآيات الانسلاخ من الآيات.

"فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا"، لماذا؟ إحنا قلنا إنَّ التعليلة "إِنَّهُمْ كَانُوا"، أي أصـــروا واســتمروا "قَوْمًا"، القوم كلهم اجتمعوا على شـيء، كلهم اشـتركوا في هذه الجريمة، "إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ"، عمين صـيغة فاعل أقوى من صـيغة فاعل مقلش عامين، عامي يصـيبه العمى لكن هذا العمى قد يكون مرحليًا قد يكون وقتيًا، حينما يستقر العمى ويصيب البصيرة ويصبح ملازم للإنسان تأتي هذه الصيغة عمين فقالوا هذا عمى ملازم، أشبه بكلمة "وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا"، كذلك إنهم كانوا قومًا عمين أي أعرضـــوا عن الآيات بل وصـــلوا إلى مرحلة لم يعودوا يروا هذه الآيات مُطلقًا إنهم كانوا قومًا عمين، نعوذ بالله –عز وجل– من عمى البصـيرة ونسـأل الله –عز وجل– أن يرزقنا بصـيرة القرآن وفهم القرآن والعمل بالقرآن وأن يجعلنا من أهل القرآن الذي هم أهله وخاصـته، أقول قولي هذا وأسـتغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفر وأتوب إليك، جزاكم الله خيرًا.